11

المظاهرات التي صنعت من الشيخ عمر عبد الرحمن زعيمًا للمتطرفين

obeikan.com

obeikan.com

بدأت حركة الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨ في ١٨/ ١١/ ١٩٦٨، بصدور قانون جديد للتعليم العام (أصدره الدكتور محمد حلمي مراد وزير التعليم في ذلك الوقت تضمن وضع نظام للاختيارات الدورية للطلاب، واضعًا شروطا أصعب لنجاحهم (في نهاية كل عام دراسي) محددًا سنوات رسوبهم بعدد معين من السنين بعدها يتم رفت الطالب من التعليم.

قال الأهرام وقتها في ٢٠/ ١١/ ١٩٦٨ إن طلبة مدرسة خاصة في المنصورة (في ذلك الزمان، كانت المدارس الخاصة للفاشلين أو للمتعثرين في التعليم العام، فلم يكن الانفتاح قد قلب الموازين بعد) هم من قاموا بالاضطراب والتظاهر، لكن الثابت أن المعترضين لم يكونوا هم الفاشلون وحدهم، يقول د. أحمد عبد الله في كتابة (الطلبة والسياسة في مصر ص ١٩٣):

سرعة انضمام طلاب المدارس الأخرى بالمدينة إليهم – إلى الفاشلين أو المتعثرين – تجعل من الصعب إرجاع تلك المظاهر إلى مدرسة واحدة فقط».

وكان أن أنتهي أول أيام التظاهر – في المنصورة بتأكيد المحافظ لتجمع طلابي كبير، في مدرسة حكومية (وليس المدرسة الخاصة إياها مما يؤكد صحة ما وصل إليه د. أحمد عبد الله بأن القانون لن يطبق بأثر رجعي، وقال ناظر المدرسة الحكومية – ولم يكن قوله عاريًا من الصحة – إن د. حلمي مراد – شخصيًا – وعده في مكالمة تليفونية بأن تيسيرات ليست بالقليلة ستتم بالنسبة للطلاب الذين كانوا مقيدين بالمدارس وقت إعلان القانون، انتهي الاجتماع بين المحافظ وطلبة الثانوية بصياح أحد الطلبة:

لا بد من الإضراب .. من يضمن لنا ما قاله المحافظ.

(ألا يعكس هذا صورة لانعدام الثقة في كلام السلطة بعد النكسة، وبعد

ألاعيب المتسلطين التي تلت مظاهرات الطلبة في فبراير ، تلك الألاعيب ، التي استهدفت إخماد الحركة ، ونزع المبادرة من الجماهير بالقول المعسول ، بينما غابت الأفعال التي تجعل لذلك العسل في الأقوال حلاوة المصداقية) .

وفي اليوم التالي ٢١/ ١١/ ١٩٦٨ حدث شيء غريب للغاية .. أعلن طلاب المعهد الديني بمدينة المنصورة الإضراب عن الدراسة ، وسرعان ما تحول إضرابهم إلي مسيرة تطوف بشوارع المدينة ، وما أن اقتربت المسيرة من مديرية الأمن حتى تكررت مأساة حلوان التي راح ضحيتها عدد من العمال في فبراير ١٩٦٨م فقد فتح عليهم – طلاب المعهد الديني – البوليس – الرصاص ليسقط أربعة طلاب صرعى للغدر ، وتتفجر المدينة بأسرها مطالبة بالديمقراطية وسقوط وزير الداخلية (لا تنسى ..وزير الداخلية هو نفسه ويا للغرابة ح التي لم يندهش لها أحد – أمين التنظيم السياسي الشعبي !! وأمين التنظيم الطليعي السري الذي قيل إنه كان نواة لتغيير ديمقراطي مزمع !!) .

والشيء المثير للدهشة – وما هو أكثر أيضاً – أن الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه « خريف الغضب» (ص٢٢٢ من طبعته الأولى) عندما أراد أن يستكمل محاسبته الرئيس أنور السادات ، (تلك المحاسبة التي احتلت الكتاب كله ، بل ووصلت إلى حد « المحاكمة» ولا اعتراض لي على الأمر) قال : ولقد اختار (السادات) رئيس وزرائه – في ذلك الوقت – السيد ممدوح سالم – ليرأس هذا الحزب (يقصد حزب مصر) ولم يكن ذلك اختيارًا سعيداً، فقد كانت شهرة ممدوح سالم الأساسية ، أنه رجل أمن ، وبصرف النظر عن مزايا كثيرة للرجل فإن الأمر بقى مثيراً للجدل(!!!) ولقد كان يمكن فهم ضرورة تعيين رجل أمن في منصب رئيس الوزراء في حالة طوارئ ، ولكنه كان من الصعب رؤية رجل أمن يحاول لم

شتات حزب سياسي صدر له قرار بأن يصبح حزب الأغنية (وماذا عن حزب قالوا أنه سيقود التحول إلى الديمقراطية !!!!) وللإصناف فإن ممدوح سالم حاول أن يعطى نفسه هوية سياسية ، وفي بعض الأحيان فإنه كاد ينجح لكن الوضع كله كان ضد طبيعة الأشياء (!!!) ، انتهي كلام الأستاذ هيكل ، فهل أصابتكم الدهشة -وما هو أكثر من الدهشة- مثلما أصابتني ، أن هذا الوضع الذي ينتقده الأستاذ هيكل في حكم السادات كان هو الوضع عينه في أيام جمال عبد الناصر فيما تلا نكسة ١٩٦٧ ، فقد كان السيد شعراوي جمعة رجل الأمن ، بل وزير الداخلية ،أمين التنظيم السياسي .. الاتحاد الاشتراكي ، وحزبه الطليعي أيضًا .. فلماذا لم ينتقد الأستاذ هيكل ذلك الوضع في عهد عبد الناصر أو بعد عهده ؟، لماذا ترك الناس في مصر يتجهون إلي أمين الاتحاد الاشتراكي ليفاجؤوا بأنهم بين براثن وزير الداخلية ، رجل المعتقلات ..(لا أظن أن عذراً للأستاذ هيكل يلوح في هذا الأمر،حتى إذا ما فهمنا إشارته الخفية عن «حالات الطوارئ» ذلك أن الوقت بعد نكسة ٦٧ كان وقتًا تحاول البلاد فيه أن تلم شتات نفسها بالتغيير ، هل كان سيتم التغيير وأصحاب المصلحة مهددون ؟ ، لا عذر للأستاذ هيكل ، فهو نفسه الذي أشار إلي أن مزايا أي رجل لا تبرر الخطأ ..وأن هذا الخطأ «ضد طبيعة الأشياء !!] .

ولقد تصرف السيد شعراوي جمعة في مواجهة مظاهرات ١٩٦٨ في المنصورة والإسكندرية في (نوفمبر) كوزير داخلية ولم يتصرف كأمين الاتحاد الاشتراكي أو كأمين للتنظيم الطليعي أيضًا ! .. وأبقي لنا تصرفه .. أسئلة كثيرة محيرة ،تتعلق برفض الناس لحزب يدار بطريقة بوليسية ..ذلك أن أحدا لم يتجه إلي حزب الاتحاد الاشتراكي من القاعدة إلي اللجنة المركزية والتنفيذية العليا !! ، فالناس ، كل الناس ، كانوا يعلمون ويرددون وقتها أن الانتخابات مزورة ، وأن مراكز القوى لم تصفي ،

مثلما هلل بيان ٣٠ مارس] .

والغريب ، بل المذهل ، أن الطلاب كانوا قد طلبوا بذلك المطلب الأخير «قيام دولة المؤسسات (الوتر الذي لعب الرئيس السادات فيها بعد عليه ، وأفرغه من محتواه الحقيقي بالطبع) بدلاً من دولة أجهزة الأمن ، بعد أقل من شهر واحد ، من إصدار جمال عبد الناصر ، في أول نوفمبر ١٩٦٨ ، قرارات جمهورية قوانين لضمان الحرية الشخصية للمواطنين ، الأمر الذي يفهمنا أن الطلاب وأساتذتهم المتضامنين معهم ، كانوا يتعاملون مع جمال عبد الناصر علي أساس المثل المعروف (اسمع كلامك أصدقك ،أشوف قياداتك أستعجب) والحقيقة أن الطلاب «شافوا أموره» ولم يتعجبوا ..تظاهروا ، وجمح بهم الغضب إلي أقصي حدود الجموح .

وكانت مظاهرات نوفمبر هي أقصي حدود الجموح ..تلك المظاهرات التي تصاعدت في المنصورة ، برغم تأكيدات لمسئولين بأن الأمور إلي حل(كما قلنا) وكان أن التحم المعهد الديني معها في اليوم التالي .

إن أكثر من علامة استفهام تفرض نفسها في هذا السياق .

أولها : لماذا خرج طلاب المعهد الديني ..والقانون لا يمسهم كما يقول د. أحمد عبد الله في كتابه ؟!.

ثانيها : لماذا كررت الشرطة مأساة حلوان بعد تسعة أشهر ، كانت كافية لمراجعة النفس !!

ثالثها : لماذا لم يصدق الطلاب تأكيدات المحافظ .

رابعها : كيف يثور الطلاب بهذا العنف في مواجهة قرار تعليمي كان صحيحًا وتقدميّ .

خامسها : لماذا كافأت السعودية أساتذة المعهد الديني بإعطائهم وظائف لديها

فيما بعد ،. هؤلاء الأساتذة الذين عاد منهم إلينا «الشيخ عمر عبد الرحمن » في السبعينيات ».

والآن :

لا يخطئ نظام عاقل الخطأ مرتين ، لكن نظام عبد الناصر فعلها .. «الدغ من جحر واحد مرتين » .. ولأن النظام وقتها كان عاقلا ، فلابد لنا الآن ـ لكي نقترب من حقيقة ما حدث ، أن نتصور أن نظام عبد الناصر لم يخطئ عن جهالة ، لكنه أخطأ متعمداً ..(هل يمكن هذا الأمر ؟) .فما أن خرج المعهد الديني في المنصورة بمظاهرة في صبيحة الخميس ٢١ نوفمبر ١٩٦٨ م ، يقلل عدد أفراها عن ألفين (كل طلاب المعهد الديني في المنصورة كانوا ألفين في ذلك الوقت ، ولا يعقل أنهم خرجوا جميعاً متظاهرين) ووصلت المظاهرة إلي مديرية أمن الدقهلية (مسافة ليست بعيدة) .حتى انطلقت رصاصات الشرطة ، ليسقط ثلاثة طلاب وفلاح شهداء (نفس السيناريو الذي حدث في حلوان في فبراير ١٩٦٨م) فتستشيط المدينة غضباً ويستشري فيها وميض كان يري تحت الرماد (ويوشك أن يكون له اضطرام) وتشتعل نار مظاهرات عارمة في الشوارع ، مطالبة بسقوط وزير الداخلية ، وبالديمقراطية ..(متي ؟ بعد بيان ٣٠ مارس بثمانية أشهر .. تم فيها انتخاب أعضاء الاتحاد الاشتراكي ، ومؤتمره القومي من القاعدة للقمة لأول مرة بعد سلسلة مملة ـ سابقة ـ من التعيينات !!).

لماذا تكرر نفس الخطأ مرتين ؟؟ هذا هو السؤال الذي نحاول أن نجد له الآن إجابة ..

في اليوم التالي ـ الجمعة ـ بينما أجتمع عدد من طلاب كلية الهندسة جامعة إسكندرية من أبناء المنصورة (لابد كانوا في زيارة أهلهم في عطلة نهاية الأسبوع)

ليتفقوا على عقد مؤتمر في كليتهم بالإسكندرية في صبيحة السبت ٢٣ نوفمبر ، يناقشون فيه ما حدث في مدينتهم ..كانت الصحف تلعب لعبتها القديمة ، لعبة التشويه ، وكان الأهرام يزعم «أن المظاهرات قد أندست فيها عناصر غير طلابية لا يملون من تكرار هذه العبارة ، عبارة صمويل هور وصدقي وجمال عبد الناصر والسادات !!) ، حاولت مهاجمة مديرية الأمن بالمنصورة ، ولم تنس بالطبع أن تؤكد على أن الظروف العصبية التي تجتازها البلاد »،« تقتضي توجيه كل الجهود لمواجهة العدو » ، هل تتذكر نفس المقولة في بيان ٣٠ مارس أيضاً؟! .

هل يمكن الآن تصور شيء آخر .. غير أن هؤلاء الطلبة الدقهليين ، قد أيقنوا بأن الحكومة ستعمد إلي الشراسة في المواجهة لأي تحرك شعبي ، وستمارس تشويهه ..وكأن بيان ٣٠ مارس لم يكن إلا كلمات ، فما حدث قبله ، يحدث بعده .. وربما كان ـ أو هو كان بالفعل ـ الذي يحدث بعده أشد ضراوة وجورا

ثم تأتي مفاجأة ثانية :

في فجر السبت ٢٣ نوفمبر ، يطب زوار الفجر ليعتقلوا عددا من القيادات الطلابية السكندرية والذين هم من أصول دقهلية (محمد ناجي أبو المعاطي ـ محمد خيرت سعد ـ بهاء الدين مكاوي) وتهددهم بضرورة إلغاء المؤتمر الذي كان انعقاده مجرد نية في صدورهم ، كانوا يحلمون بتحقيقها في ضحي اليوم نفسه !! (هكذا اتضح للطلاب أن الحكومة قد رتبت نفسها بمنتهي الدقة للمواجهة !!) .

برغم حسابات الحكومة الدقيقة ـ أو بسببها !! (وخلي بالك من هذا الأمر) بعقد المؤتمر في كلية هندسة الإسكندرية .ويبدأه الطالب محمد ناجي أبو المعاطي (الذي قبض عليه وهدد قبل أن يشرق الصباح) حاكياً ما حدث له في الفجر ، وما حدث في مدينته ـ المنصورة ـ فتقاطعه الهتافات (يا شعراوي يا سفاح .. ولي زمانك ..ولي

وراح) ، ويستمر المؤتمر مزجياً الغضب في النفوس .

وتأتي مفاجأة ثالثة !!

يقول «رماح أسعد » (في كتابه سطور من يوميات الحركة الطلابية المصرية ١٩٦٨م ـ١٩٧٣، والذي أعود إليه لقص الأحداث) : إن المؤتمر قد فوجيء بدخول عاطف الشاطر (رئيس اتحاد كلية الهندسة بالإسكندرية) ومعه حسين عيد(رئيس اتحاد طلاب الجمهورية .. الذي جاء به الطلاب ، بعد أن عزلوا عبد الحميد حسن ، في تحد واضح وجري لعملية الاحتواء التي نجح فيها جمال عبد الناصر لعبد الحميد حسن، عن طريق رجله المخابراتي سامي شرف) ليتصدى كلاهما للطلاب مدافعين عن النظام متهمين طلاب المنصورة بالعمالة لإسرائيل ..(تصوروا !!) .

وتأتي مفاجأة رابعة .. لكنها في هذه المرة للحكومة وليست منها!!

فوجئت حكومة المفاجآت ..بعاطف الشاطر الذي أرسلوه ليهاجم زعامات الطلاب الغاضبة ـ نفسه ـ يخرج قائداً لمظاهرة كبيرة يحمل فيها علم الكلية بعد ساعتين من النقاش العاصف في المؤتمر ، تصدي له فيها الطالب تيمور الملواني (يرحمه الله فقد توفي مناضلاً منذ سنوات) قالباً الدفة ليس على الحكومة ولكن على عبد الناصر شخصياً معتبراً إياه وراء كل ما يحدث (بعد فبراير ١٩٦٨ لم يعد الطلبة يستثنون جمال عبد الناصر من المسؤولية عما يحدث من شرور) مفجراً غضب الموجودين في المؤتمر .

هذه المظاهرة تطرح سؤالاً ملغزاً (من الواضح أن ألغاز نوفمبر ١٩٦٨م لا تنتهي) هذا السؤال الملغز هو لماذا قاد عاطف الشاطر الذي لحق بالمؤتمر مع رئيس اتحاد طلاب الجمهورية لوقف التحرك الطلابي السكندري من أجل عملاء إسرائيل » (!!!) من طلبة الثانوي وطلبة الإعدادي في المنصورة) بنفسه مظاهرة تخرج إلى الشارع ، هل

تم إقناعه داخل المؤتمر بأن ما جاء من أجله غير عادل ، فقرر أن يواجه من أرسلوه .. أن يواجههم في الشارع ؟، أم أن غرضاً آخر كان يكمن وراء قيادته للمظاهرة ؟!!

هذا السؤال سنحاول أيضاَ أن نبحث له عن إجابة مقنعة .. سنحاول ذلك مجتهدين؟!

والحقيقة أن البوليس المصري لم يحاول مثلنا أن يسأل نفسه هذا السؤال فما أن شاهد المظاهرة ، حتى بدأ العمل معها بوحشية ، وسارع بالقبض على عاطف الشاطر وآخرين بينها (وخلي بالك من هذه أيضاً) كان عاطف الشاطر يحاول التفاهم مع رجال الأمن !!

وكان أن تراجع الطلاب إلى داخل الجامعة أمام ضراوة ووحشية قوات الأمن ... وفي تلك اللحظة قرر المحافظ أحمد كامل محافظ الإسكندرية. اقرأ آخر فصل في الكتاب: «ثم تكلم أخيرًا عاطف الشاطر» : (كان من قبل أمين التنظيم الشبابي وقيادة كبرى من المخابرات العامة!!!! أن يغير من خططه ، وأن يواجه الطلبة بنفسه داخل أسوار الجامعة ، ليقنعهم بألا يعمدوا إلى تصعيد حدة التوتر في الموقف (كان المحافظ قد أشرف بنفسه على وضع الترتيبات الأمنية والجامعية لمواجهة الاضطرابات في مساء اليوم السابق – الجمعة –مؤكداً على مدير الأمن ضمان خطر خروج الطلاب إلى الشارع في مظاهرات) ،

(انظر الطلبة والسياسة في مصر د. أحمد عبد الله ص ١٩٥) ..

ولعل من الأوفق الآن أن تترك لبطل الحادثة فرصة الكلام عنها بنفسه.

في مذكراته المنشورة بالمصور عدد ٢٠/ ٤/ ١٩٩٠ م قال أحمد كامل: «ذهبت إلى الجامعة كانت تحت حصار بوليسي مكثف ، لم أكن بعد وجها مألوفاً كمحافظ (!!) كان قد عين كمحافظ منذ أيام) . ولذلك وجدت إلى جواري ضابط شرطة يطلق

obeikan.com

بندقية رش في اتجاه الطلاب المعتصمين، خطفت البندقية من يده ، وكادت تنشب معركة جانبية (!!!) لولا أن رآني سيد فهمي مدير مباحث الإسكندرية آنذاك (وبعدها وزير الداخلية الذي واجه مظاهرات ١٩٧٧ التي سماها أنور السادات«انتفاضة الحرامية». وكأن الحرامية هم من كانوا ينتفضون في عصره من الجوع!!!!!) .

قلت له (الكلام مازال الأحمد كامل): أخرج هذا الظابط بعيداً من هنا ... وأحضر عاطف الشاطر من السجن فوراً (!!!) .. جاءني سيد فهمي بعاطف الشاطر وهو في نوبة بكاء حادة ، قال (عاطف الشاطر) : ضربوني يافندم قلت له : كن رجلاً (السجن للجدعان والضرب كمان!!) أدخل إلى الجامعة الآن واجمع زملاءك في القاعة الكبيرة، وسوف أدخل وراءك ونجلس ونتناقش جميعاً ..جلست في مواجهة الطلاب الغاضبين ، وقد أحضروا طالباً ينزف من طلقات البندقية ، ثم قال أحدهم بصوت محرض ، أنظر ماذا يفعلون !!! أي تفاهم يمكن أن يكون بيننا ؟ قلت أنا لا أعرف شيء(!!) ووزير الداخلية هو الذي أعطى تعليماته لمسئولي الأمن بهذا الخصوص ، وهو قرار خاطيء تماما(!!) واستمر الحوار المنفعل ..بينما مسؤولوا الأمن خارج حرم الجامعة في حالة ترقب وقلق (يقصد خوفاً على المحافظ بالطبع) ، وهكذا اتصلوا بوزير الداخلية ، واتصلوا بمكتب الرئيس ، وقالوا إن المحافظ دخل مبنى الجامعة، ونحن نخشى أن يفتك به الطلاب الغاضبون ، ماذا نفعل ؟! هل نقتحم الجامعة الإنقاذ ؟! ونقل سامي شرف على الفور الموقف إلي الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان رده «لا اقتحام .. اتركوه يتصرف وحده» .

هذه رواية أحمد كامل لما حدث ، لكن الطلبة ورماح أسعد و د. أحمد عبد الله (في كتابيهما المذكورين سابقا) يجمعون على رواية أخري تتضمن أن الطلبة احتجزوا

أحمد كامل داخل أسوار الجامعة إلي أن أمر بالإفراج عن عاطف الشاطر وزملائه المعتقلين (ولم يكن الأمر مما تفتق عنه ذهنه السياسي) وهذه هي الرواية الحقيقية بالفعل، التي خجل أحمد كامل - رحمه الله - من إعلانها (وتلك الرواية الحقيقية تعني أن المحافظ أمر - مرغماً - بالإفراج عن عاطف الشاطر) .. وأنهم قبل مغادرتهم الجامعة أرسلوا نسخة خطية من المطالب الطلابية التي تضمنت، محاكمة شعراوي جمعة وكل من شارك في أحداث المنصورة / حرية الصحافة والنشر / الإفراج عن المعتقلين السياسيين / قيام دولة المؤسسات محل دولة أجهزة الأمن / (ثم هذا الأمر الملفت للنظر) تطبيق برنامج ٣٠ مارس تطبيقاً صحيحاً !!، (إن هذا يرد على من يصورون أن بيان ٣٠ مارس كان غاية المراد من المتحكم في حرية العباد!!).

الطلاب يطبعون المنشورات :

استمر اعتصام الطلاب واستولوا على ماكينة طباعة «رونيو» خاصة بالكلية، (كلية الهندسة)، وبدؤوا في كتابة سلسلة البيانات، ووزعت - بطريقة ما - على نطاق واسع بمدينة الإسكندرية، وبعضها وزع بالطبع أثناء مظاهرات تلت بدء اعتصام كلية الهندسة .. وقد ساعد الطلاب أقلية من هيئة التدريس على رأسهم الدكتور عصمت زين الدين، رئيس قسم الفيزياء النووية، الذي أسهم بدور فعال لن ينساه له التاريخ، ولن تنساه له الوطنية المصرية في الانتفاضة الطلابية .

ثم مفاجأة خامسة !!

في اليوم التالي أعلنت الحكومة إغلاق الجامعة . وكانت المفاجأة الخامسة للحكومة أيضا وليست منها .. فقد انفجرت المظاهرات خارج الجامعة والتي يقول عنها د. أحمد عبد الله في كتابه «الطلبة والسياسة في مصر ص ١٩٧» في يوم الاثنين ٢٥ نوفمبر حدث إضراب بالإسكندرية كما شهدت المدينة مظاهرات على نطاق لم

obeikan.com

تشهده من قبل ، انتهت بصدام دام مع الشرطة ، وكما توضح أرقام الخسائر فإن الطلاب لم يكونوا وحدهم في هذه الأحداث ، إذ لقي ستة عشر شخصًا مصرعهم [٣ طلاب ، ٢ من الأهالي وتلميذ عمره ١٢ سنة ـ سقط تحت أقدام المتظاهرين (المذعورين من إطلاق الرصاص)] ، بينما أبلغ عن وصول ١٦٧ مصابًا من الأهالي إلى المستشفيات وأعلنت الشرطة إصابة ٢٤٧ من رجالها (١٩ ظابط٢٢٨ جندياً) ، وألقي القبض على ٤٦٢ شخصاً ، استمر حبس ٣٦٥ منهم على ذمة التحقيق .. وبالطبع حصلت خسائر في الملكيات العامة والخاصة (أورد الأرقام ليري القارئ حجم المظاهرات الذي تتحدث عنها هذه الأرقام).

أما الطلبة المعتصمون داخل الجامعة ، والذين قال عنهم الأهرام في ٢٨/ ١١/ ١٩٦٨م ، أنهم أنهوا اعتصامهم بسبب « إحساسهم بالندم والأسف لما حدث من تخريب في المدينة مؤخراً .. كما أنهم شعروا «بانفضاض الشارع عنهم ، ودهشته (دهشة الشارع) من موقفهم ، الذي كان يبدوا بدون مسوغ واضح «هؤلاء الطلبة الذين قال عنهم الأهرام ما قاله ، وروي عنهم أحمد كامل رواية أخري في المصور (بنفس التاريخ السابق) لابد أن نعانيها هي الأخرى .

قال أحمد كامل : خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار (الذي أجراه مع الطلبة داخل الجامعة) لن تحقق النتائج المنتظرة ،اتصلت بسامي شرف وقلت له : أبلغ الرئيس أنني أطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (عند الأهرام وقتها على إخفاء هذه الحقيقة الخطيرة ، عملا بحرية الصحافة !!!) .. بعد دقائق جاء رد سامي : الرئيس أمرني بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزي : القائد العام للقوات المسلحة ، وأن أبلغه بأن يتصل بك ، بعد دقائق أخري كلمني الفريق أول محمد فوزي وقال : لقد وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك ..(قيادة أحمد كامل)

أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور » (سيحاربون!!) قلت (أحمد كامل) بعدها لقائد المنطقة العسكرية الشمالية أن يعطي أوامره لقيادة الطيران في المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة .. كما طلبت منه وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها في استعراض للقوة أمام كلية الهندسة ..عندما وصلت مجموعة طائرات الهليوكوبتر فوق كلية الهندسة ، شاركت الطبيعة في إخراج مسرحي للموقف فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر ، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم ، في الوقت الذي مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة ، وتمركزت بعض الوحدات في الاستاد الرياضي المجاور .. ورن جرس التليفون في مكتبي ..كان المتحدث أحد قادة الاعتصام .. قال : « لقد قررنا إنهاء الاعتصام » .

هكذا انتهت الأحداث الدامية في نوفمبر ١٩٦٨ ، وبدأ المجتمع مناقشتها والنظام أيضاً ، مناقشات مستفيضة ..

أما وقد مرت تسع وعشرون سنة الآن .. فقد وجلب علينا أن نناقشها نحن من زاوية لم يتطرق لها في ظني أحد ..وربما كانت ـ في ظني أيضا ـ هي الزاوية التي كان يجب أن يتجه إليها نظر المحللين .

نتوقف لتحليل المفاجآت الخمس :

لقد عرضنا الأمر في مفاجئات خمس ..ثلاث منها فاجأت الحكومة بها الطلاب ، واثنتان فاجأ بهما الطلاب والشعب والحكومة .

المفاجآت الثلاثة الأولي : تؤكد أن الحكومة كانت قد اتخذت قرارا ـ أعدت له عدتها جيدا ـ منذ مظاهرات فبراير التي فاجأتها ـ بألا تسمح لما حدث في فبراير ١٩٦٨ بأن يتكرر .. وأن قرارها تضمن مواجهة أي تحرك شعبي إذا ما حدث

بمنتهي القوة وبمنتهي الشراسة (لهذا صنعوا قوات الأمن المركزي) تحت غطاء إعلامي يخفي الحقائق يستبدلها بما يشوه الطلاب وحركتهم البريئة .. إن قرارا كهذا لا أظن أن المجال والشواهد يسمحان بأن نظن الظنون بغيره) يرد على أسئلة كثيرة غامضة : أولها : لماذا قررت الحكومة مأساة حلوان في المنصورة ..وبدأت بإطلاق الرصاص ؟!!! بل لماذا اعتبرت مظاهرات طلبة الثانوي من أجل مطالب تعليمية مظاهرات تستحق مواجهة ساخنة على نغمة (اضرب المربوط يخاف السايب) وأيضاً يشرح الأمر لماذا لم تتردد الحكومة حينما رأت عاطف الشاطر على رأس المظاهرة في أن تضرب .. وأن تضرب بعنف.

إن عاطف الشاطر– الذي يوحي رماح أسعد(ولديه أسبابه) بأنه متعدد الأقنعة .. بل ويوحي أيضاً بأنه أراد توريط الطلبة في المظاهرات ليتم ضربهم.

بينما أخذته (ولم تقبض عليه) قوات الأمن بعيداً عن الموقعة!! لا يمكن أن يكون ذلك الرجل الذي أراد رماح أسعد تصويره بهذا السوء .. والدليل أن عاطف الشاطر دفع ثمن ما حدث سنوات أبعد فيها إلى الحدود الجنوبية مجنداً في القوات المسلحة متأخراً عن إخوته في سنوات تخرجه .. فقد اضطر إلى أن يكمل تعليمه في الجامعة بعد قضاء سنوات تجنيده الذي احتسب له على أساس مؤهله العادي فما بالك والوقت كان وقت حرب!!،.. عاطف الشاطر الذي عوقب هذا العقاب القاسي ..لا يمكن أن يكون الرجل الذي يوحي به رماح أسعد .. برغم هذا يبقي ما حدث لغزاً .. فعاطف الشاطر كما رأينا، في كتاب رماح أسعد .. دخل الجامعة مهاجماً طلاب المنصورة واصفاً إياهم بأنهم عملاء لا يستحقون أن يثور طلبة جامعة الإسكندرية من أجلهم ، ثم خرج من الجامعة على رأس مظاهرة تندد بالنظام الذي واجه عملاء– إسرائيل في المنصورة– على حد زعمه– بالرصاص !! هل أقنعه

الطلاب بغير ما دخل به ؟!! إذا كان قد اقتنع فأي تفاهم كان يقصده مع رجال الأمن (كما علمناه)؟!

عاطف الشاطر، بطل تراجيدي

في تقديري أن عاطف الشاطر واحد من أبطال تراجيديين في هذه الفترة وقعت عليهم يد النظام ، والتقطتهم بغرض احتواء الحركة الطلابية .. وتوزعوا ما بين الاتحاد الاشتراكي ومؤتمره القومي ، وبين التنظيم الطليعي ، وبين مجموعة تستطيع أن تتصل مباشرة بالسيد شعراوي جمعة الأمين العام للاتحاد الاشتراكي (ووزير الداخلية في نفس الآن!!) ومجموعة ثانية تتصل مباشرة بسامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، والرجل الثاني في التنظيم الطليعي أو والثالث على الأكثر .. أقول أنهم أبطال تراجيديين .. لماذا؟ لأنهم كانوا – حائرين – بين التزامهم بما تنفق عليه تنظيمات النظام، وبين موقفهم أمام الطلاب فهم إذا ما تجاوبوا مع الطلاب اعتبرهم النظام خونة يجب ألا يفلتوا من العقاب، وهم إن تجاوبوا مع النظام ، اعتبرتهم القواعد الطلابية خونة أو مباحث على أقل تقدير (لا ينفي كونهم أبطالاً تراجيديين، أن بعضهم انتفع ومازال بثمار موقفه التراجيدي هذا ، وبعضهم لم ينتفع ودفع ثمناً غالياً لازدواجية فرضت عليه فرضاً) وخصوصاً في لحظات الصخب الطلابي المعارض.

ولقد وضع عاطف الشاطر البطل التراجيدي في هذا الموقف ، أرادوا له أن يشارك في إنهاء حركة الطلاب قبل أن تستشري .. ولكنه وسط المؤتمر الصاخب عجز عن تنفيذ ما أرسل من أجله ، فتصور – وهذا تخيلي للأمر – أنه إذا خرج بمظاهرة سلمية (الأمر الذي كان يصر عليه الطلاب) تعلن رأيها فإذا قد اتفق مع رجال الأمن على ألا يتعرضوا لها ، فإنه يكون بذلك قد حقق ما يتمناه الطلاب وما

لا يقلق النظام إذ ستكون المظاهرة تحت سيطرته ، سيقول الطلاب ما يريدون وينتهي الأمر عند هذا الحد.. لكنه لم يستطيع أن يقنع رجال الأمن .. وقبضوا عليه ..وحسب ما كانوا قد أعدوا له أنفسهم سلفاً ، واجهوا المظاهرات بعنف، بل وضربوا عاطف الشاطر كما أكد – أحمد كامل – في مديرية الأمن لأنه تجاسر وفعل ما تجمعت كلمتهم على حتمية ألا يحدث ، وهو خروج المظاهرات إلى الشارع .. وعندما عاد عاطف الشاطر إلى الجامعة بضغط طلابي .. لم يستطع البطل التراجيدي إلا أن يتخذ موقفاً يرضي عنه من أخرجوه من الاحتجاز ، وأنقذوه من الضرب المبرح، هكذا سيق البطل التراجيدي إلى حتفه .. وإلى منفاه في أبعد نقطة على الحدود الجنوبية الشرقية لمصر.. وإلى شك بعض أبناء الحركة الطلابية في نواياه حتى اليوم (عاطف الشاطر الآن في المغرب على ما أظن يعمل بالتجارة) .

أما المفاجأة الثانية والتي عبرنا عنها بأن زوار الفجر هددوا القيادات الطلابية بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا ما حدث المؤتمر الذي كانوا يزمعون إقامته ، فتعني أن نوعاً آخر من أبطال غير تراجيديين – مباحثيين – قد اخترقت بهم أجهزة الأمن النشاط الطلابي (بينما منعت ـ في العلن ـ حرس الجامعة من التدخل في نشاط الطلاب السياسي !!) كانوا يؤدون واجبهم على أحسن وجه، وهو الأمر الذي أضاف إلى مطالب طلبة الإسكندرية مطلبهم ، قيام دولة المؤسسات بدلاً من دولة أجهزة الأمن !!

ومرة أخرى ، نتوقف عندما وصلنا إليه قبلا.

لقد فوجئت الحكومة – كما فاجأت الطلاب – بتلك المواجهة الشعبية العنيفة لإجرائها – العنيفة أيضاً – (ارجع إلى المفاجأتين الرابعة والخامسة) لكن بدا – في ذلك الوقت– أن الحكومة (وقصة تدخل الجيش الذي طالب به أحمد كامل

وتدخل بالفعل كما رأينا توضح ذلك) لن تتواني عن التصعيد في مواجهة أي تصعيد .. الأمر الذي خشي مغبته الطلاب فهو من ناحية سيعرض البلد لما يجب ألا تتعرض له .. ومن ناحية أخرى لن يوفر مناخا لتحقيق أي مطالب ، وهكذا عندما أغلقت الحكومة الجامعات وراح طلاب الجامعة لاعتصام كلية طب جامعة القاهرة الذي أعلنت عنه الكلية قبل يوم الإغلاق .. تفرقوا لا يعرفون ماذا يفعلون في مواجهة حكومة مصرة على التصعيد ؟!! في مواجهة سلطة أرادت ألا تتصرف إلا كسلطة !!!!١ مصممة على ألا تتغير وعلى أن تفجر الدنيا تفجيراً لا تتراجع عنه إذا ما لمس أحد أنفها .. مجرد أنفها

والحقيقة أيضاً .. أن عفريتًا آخر في الطريق إلينا .. إن مواجهة مظاهرات المنصورة بالرصاص ، تلك التي ضمت أقل من ألفين (عدد بسيط للغاية) من طلاب المعهد الديني ، فتحت فتحاً على أساتذته (معيدين ومدرسين وأساتذة) فقد تلقفتهم المملكة العربية السعودية مثله مثل الإخوان المسلمين.. وعاد إلينا منها فيمن ذهبوا غاضبين ، الشيخ عمر عبد الرحمن ومعاونوه الذين أصبحوا فيما بعد أعمدة للإرهاب ، يتخذون حجة في مواجهتنا تبرر إرهابهم بأن إرهابا قد وقع عليهم في المظاهرات .. وفي السجون ، وفي حيلة الملايين غير المحتملة أيضاً.

النور في جنازة عبد المنعم رياض

لكن – برغم هذا السواد– فإن نورا باهراً قد سطع وهدأ النفوس .. هذا النور هو حرب الاستنزاف العظيمة .. تلك الحرب التي لولاها لتبعثر الوطن شظايا ، ولعل جنازة العظيم عبد المنعم رياض .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ،البطل الذي مات شهيداً في أقرب النقاط إلى العدو (المعدية رقم ٦) والتي ضمت الألوف المؤلفة ، توحي بأن التحاماً بين الشعب وقيادته لن يتم إلا في طريق

بذل كل ما هو غال في سبيل حرية هذا الوطن ، وليس أغلى على الوطن من أبنائه الذين يفدونه بحياتهم ، ليبقوا أحياء ، ولكن البعض لا يعلمون..

في جنازة عبدا لمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وصاحب اليد البيضاء في إعادة بنائها .. والوصول بها إلى مستوى بدأ يقلق العدو ويسعى لاستنزافه ، وجد جمال عبد الناصر نفسه والجماهير تدفعه من الخلف – فعليا – في مآقيها دموع ، وفي قلبها نشوة بأن القيادات تستشهد في مواقع شديدة القرب من العدو ، تستشهد حيث يجب أن تكون الوقفة وأن يكون الاستشهاد .. نشوة إلى جانب الحزن الشامخ لفقدان رجل عظيم..

وجد عبد الناصر الجماهير تدفعه في اندفاعها وراء الجثمان.

وفهم جمال عبد الناصر الذي كان يفهم نبض الجماهير .. أن الجماهير لا تدفعه إلى جامع الكخيا.. فهم أن الجماهير تدفعه إلى سيناء ، وأن دفعها له يرضيها ويهدئ خواطرها لحين تحقيق الأمر الأهم .. وبين هذه الجماهير كان الطلاب ، وكانت الحناجر ترفع هتافاتها إلى عنان السماء «ح نحارب .. ح نحارب» .

الطلبة تعد لميثاق وطني جديد:

في أثناء اشتعال حرب الاستنزاف ،ذلك الاشتعال المقدس ، اكتفى الطلاب بمجلات الحائط في كلياتهم يعبرون فيها عن قناعتهم .. يقول عادل بدوي ، (طالب كلية التجارة جامعة عين شمس وقتها والمحاسب الآن) : منذ أوائل ١٩٦٩م ، ظهر الخلاف جليا بين أعضاء التنظيم الطليعي الناشئ (بعض الأبطال التراجيديين) ، وبين كتلة كبيرة من الشباب الوطني، الذي اتسعت شقة الخلاف بينه وبين رجال النظام القائم (لكن حرب الاستنزاف كانت- كما قلنا – تلقي الثلج المدمم على الغليان الغضوب) وقد تمحور الخلاف، حول قضيتين أساسيتين أولهما :

ضرورة الجدية في تغيير نية وأساليب الحكم في إطار حرب التحرير الوطنية، وثانيتهما: ضرورة إرساء قواعد الديمقراطية وحرية التعبير .. وراحت المجلات تتجه بهذين الهمين إلى مناقشات غاية في العمق، حول الأوضاع السياسية لمصر والعالم (بالطبع كان أعضاء التنظيم الطليعي يرون أن للسلطة مبررات لموقفها الرافض أو في أحسن الأحوال المؤجل للتغيير، تكمن في خطورة المواجهة مع العدو الصهيوني، وإن التغيير المطلوب وجزء كبير منه قد تم بالفعل من وجهة نظرهم وحدهم!!! يجب أن ينتظر التحرير الذي يجب أن يكون – بكل معنى الكلمة – الهم الذي لا هم قبله و لا بعده، وكان بعض الأساتذة – ولعلهم أيضاً كانوا أعضاء في التنظيم الطليعي - يساعدونهم على هذه التحليلات ويوفرون ظروفاً معاكسة لمجلات الحائط المعارضة).

ويقول عادل بدوي أيضاً (محاسب الآن): أنه في أوائل عام ١٩٧٠ م، أصدر طلاب كلية التجارة جامعة عين شمس ثلاثة أعداد متتالية من مجلة التجارة أقام على إصدارها محمد لطفي حسونة (أستاذ في كلية التجارة الآن) وهاني الحسيني (محاسب ومن قيادات حزب التجمع اليساري الآن) وعادل بدوي، لم تكلف أو تطلب من اتحاد الطلبة مليماً واحد. فقد تم تمويلها من الإعلانات..

كانت الأعداد الثلاثة من المجلة تحتوي على مقالات مناهضة لما طرحه هيكل من أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة في يد أمريكا (في ذلك الوقت المبكر !!، بينما الجميع يظنون أن هذه الأطروحة المدمرة كانت اكتشافاً ساداتيا) وتؤكد على الدور الشعبي الوطني في مقاومة العدوان، عارضة للتجارب الثورية العالمية، وكيفية مقاومتها للتسلط الأمريكي المباشر ..

وفي عدد من هذه الأعداد الثلاثة تم عرض برنامج عمل وطني جديد (ذلك أن

ميعاد تعديل الميثاق الوطني كان سيحل بعد سنتين ، كما أوضح جمال عبد الناصر وقت إعلانه مؤكداً أن الميثاق الوطني سيتم تعديله بعد عشر سنوات) لتبدأ المناقشات حول البرنامج الجديد ومازال أمام الشعب فسحة من الوقت تمكنه من المناقشة .. والحقيقة أن هذه الدعوة وجدت استجابة في الحركة الطلابية الأمر الذي جعل الأستاذ الدكتور محمد فتحي محمد علي (أستاذ الإحصاء والذي أصبح وزيراً للتعليم في وقت لاحق) يحذر القائمين على المجلة من تخوفه بأن اعتقالهم سيتم قريبًا (فقد كان على حد تعبير عادل بدوي «واصلاً») في نفس الوقت الذي كان حق) يحذر القائمين على المجلة من تخوفه بأن اعتقالهم سيتم قريباً (الدكتور مصطفي زهير عميد الكلية يقف مع الطلاب مؤكداً على حقهم في التعبير عن إرادتهم المستقلة (وبطبيعته تلك ـ المؤيدة للجماهير ـ لم يكن بالتأكيد واصلاً) .

وفي يونيو ١٩٧٠ م يقول عادل بدوي : وليام روجرز بمبادرته الشهيرة بإيقاف إطلاق النار تمهيداً للتسوية بين مصر وإسرائيل .. تلك المبادرة التي رفضها السادات !! نائب رئيس الجمهورية !!!! ووافق عليها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ، ليتمكن من إقامة حائط الصواريخ «سام» لحماية العمق ، المصري من غارات العدو الصهيوني !! ذلك الحائط الذي صنع أمجاد أكتوبر العظيم ١٩٧٣م) ، على الأطفال في مدارسهم ، والعمال في مصانعهم والنيل عند جسوره ، وبينها السد العالي وأيضاً ليتمكن الجيش من العبور في ظلها).

يقول عادل بدوي : كانت لدينا قناعة كبرى في أن جمال عبد الناصر سوف يرفضها ، لما لها من تأثير سيئ على المقاتل المصري ، والوضع العربي الساخن والمؤهل لحرب التحرير الوطنية ، وفوجئنا بقبول جمال عبد الناصر لها وقمنا بإعداد بيان في منشور يوزع على شعب مصر ، مؤكدين أن قبول المبادرة (في رأيهم) بداية

للتنازل عن اللاءات الثلاث التي اتفقت عليها الأمة العربية كلها في الخرطوم .. وقبل توزيعهم للبيان فاجؤوا بالقبض عليهم ظهر ٥ أغسطس ١٩٧٠ (محمد عيد ، عادل بدوي ، صلاح زين الدين ، عادل عبد العظيم ، محمد عبد الغفار « كان مناضلاً وموظفًا في الشئون الاجتماعية ، وعضوًا في تنظيم شيوعي سري » رواية عبد العظيم (ناشره الآن وصاحبة دار سيناء للنشر) فاطمة الديساوي : وسمية عدلي وزينب عبد العظيم (كان قرانها معقوداً على محمد عيد») واقتيدوا من مزرعة بالهرم كانوا يطبعون فيها البيان ـ كما زعمت وزارة الداخلية ـ إلى سجن المخابرات العامة لمدة خمس أيام ، ثم إلى سجني الاستئناف والقناطر (للنساء) ليقضوا تسعة شهور حتى إبريل ١٩٧١ م ، حين أفرج عنهم أنور السادات في الإفراج الشامل الذي أراد أن يزيد به حجم شعبيته قبل حركة مايو ١٩٧١ .

إن كلمة عادل بدوي تؤكد ما وصلنا إليه.. من أن الهدوء الظاهري لحركة الطلاب لم يكن إلا نتيجة لحرب الاستنزاف العظيمة ، وأن بداية السخونة في حركة الطلاب جاءت مع وقف إطلاق النار (برغم أن أسباب عبد الناصر لوقف النار كانت مقنعة ، ودور حائط الصواريخ المصرية العظيم وأبطاله الأعظم خير شاهد على كون أسبابه عبد الناصر مقنعة) لأن حلم التحرير لم يكن يحتمل أي تلكؤ أيا كان سببه !!.

نقول : إن الهدوء كان ظاهرياً ذلك أن الجماعات الدينية في الكليات المختلفة وعلى قمتها كليتا الطب والهندسة كانتا تعدان لشيء .. وكانت جماعة أنصار الثورة الفلسطينية بكلية الهندسة ، والجمعية العلمية بكلية الطب جامعة القاهرة تعدان – علموا أم لم يعلموا – لحركة ١٩٧٢ العظيمة ..